# الاسلامولوجيا أو اللسانيات التطبيقية عند محمد أركون
## - توصيف ونقد –

**د. بلوافي حليمة**
– المركز الجامعي لعين تموشنت

**تمهيد :**

ليس هناك من شك في أن المعرفة هي وليدة جملة الأفكار التي اتخذت منحى عقليا وغدت تشكل مرجعا فكريا يتسايق والمنهج العلمي الذي يسم العصر ،ولذا شهدنا انبثاق الاستشراق في عصر ما قبل النهضة العربية كحصيلة للنزعة الغربية لمعرفة الآخر العربي الإسلامي لأغراض معينة وهو استشراق يتخذ المرجعية الفلسفية الغربية كإطار للمساءلة والبحث في التراث العربي الإسلامي :فإذا كانت الفلسفة المادية تعلي من شأن المادة على الفكر وبأسبقيتها ،فإن الفلسفة العقلية الوجودية تقدم الفكر على المادة ، وهو ما ستتبلور عليه الفلسفة الأمريكية التي تميزت عن فلسفة أوربا بأنها فلسفة اعتمدت على ربط الفكر بالواقع ،فلا أهمية للمعرفة إلا ما كان منها فاعلا في الواقع ،مهيمنا عليه مخضعا له وهو ما تمخض عن صنف من الفلسفة هي "الفلسفة الذرائعية ".

لقد وضع المفكر محمد أركون "حركة الاستشراق "على محك النقد ،ولم يقلل من دورها في بعث التراث العربي الإسلامي ،والتعريف بأعلامه إلا أنها حركة لم تحرك فعالية البحث في هذا التراث لأنها اكتفت بنقله وشرحه وترجمته ولكن لم تبحث فيه عن



المنارة للاستشارات

آليات تطوره وازدهاره ،وإثماره للتحضر والرقي الفكري والمادي ولذا أطلق عليه مصطلح الاستشراق الكلاسيكي بما ينبئ على وجود أو ميلاد استشراق جديد ،وهو ما أطلق عليه مصطلح " الاسلامولوجيا " أو ما ترجم إلى " الإسلاميات التطبيقية ".

الاسلاميات التطبيقية تحاول أن تستثمر معطيات العلوم الإنسانية الحديثة من أجل قراءة واعية للتراث الإسلامي والبحث فيه عن آليات انحساره وانغلاقه بعد أن كان مفعما بالحركية البناءة ،وما شأن " النص" الذي أضحى محور التفكير والاشتغال بل تأسست عليه نصوص أخرى صارت تزاحمه وتنافحه بل وتجاوزه ،إذ الممارسات الفردية والجماعية في الزمن الأول أضحت هي الأخرى تمثل مرجع المعنى في ذلك النص ،والفهم الأحادي المنفرد الذي أسس اتجاها فكريا أقصى اتجاهات أخر ظلت منحسرة في بيئات منعزلة لأن ثمة سندا سياسيا قد مكنها من أن تتربع على سلطة الفكر والاجتهاد .

**1- منهج محمد أركون في الاسلامولوجيا :**

إن منهج أركون في تأسيسه للإسلاميات التطبيقية ينطلق من توصيف وإحصاء للفكر التراثي الإسلامي وتمييز مذاهبه ونحله والتمركز داخله لتفكيك بناه والوقوف على سقطاته على مستوى المنهج والمساءلة والفهم ثم تبيان هشاشة الهوامش التي تأسست على النص إن على مستوى الفكر أو على مستوى الممارسات وضرورة بناء استراتجية مغايرة لبعث دينامية النص كسابق عهدها ومستجيبة لمعطيات العصر وقد أكد محمد أركون على منهجيته تلك منذ أن بدأ


المنارة للاستشارات

مشروعه سنة 1973 ،وفي مجال قراءة أعمال المؤرخ كلود كوهين وقد حصرها في ثلاث مراحل :" "اختراق"، "إزاحة"، "تجاوز" [1].كما أن مشروع محمد أركون يتأسس على نقد العقل العربي الاسلامي والوقوف على الابستيمية التي انبنى عليها هذا العقل ومحاولة تجاوز العثرات التي اعترضته يقول في ذلك مصطفى كيحل :في هذا السياق يندرج مشروع محمد أركون فهو صاحب برنامج نقدي شامل ، يدرس شروط صلاحية كل المعارف التي أنتجها العقل الإسلامي ، و هو مشروع ينخرط ابستمولوجيا في العمق ، كما أنه مشروع ضخم ، لا يستطيع فرد أن ينجزه لوحده بل إن كل خط من خطوط المشروع يحتاج إلى مؤسسات بحث علمية ، و فريق كبير من المؤرخين ، و علماء النفس ، و علماء الاجتماع ، واللسانيين و الأنتربولوجيين والاقتصاد. ..الخ "[2] كما أن محمد أركون يريد أن يموقع منهجه في إرساء دراسة جديدة للفكر الاسلامي ،في التراث العلمي الذي سلك العلماء فيه مسلك التعددية الإجرائية في استنطاق بنية النص القرآني ويستشهد في ذلك بما وضعه فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير ، حتى قال عنه المفكرون تكاد تجد فيه كل شيء إلا التفسير،ففيه البلاغة والنحو والتاريخ والمعجم والفلسفة والأدب ... يقول محمد أركون في منهج الرازي التفسيري :" يلجأ إلى قراءات عديدة و لكنه يصفها الواحدة إلى جانب الأخرى دون أن يمارس مراجعة نقدية لكل منها . ، نجد عنده القراءة المعجمية اللفظية و القواعدية و نجد القراءة الاسقاطية الوجودية الممارسة بواسطة القصص . و نجد القراءة القانونية التشريعية و القراءة الفلسفية و العلمية ( بمعنى أنه كان يلجأ إلى


المنارة للاستشارات

المعارف العلمية المتوفرة في عصره .)كما نجد القراءة الثيولوجية والقراءة الأدبية(الإعجاز والبلاغة). [3] كما يندرج مشروع أركون في "الاسلاميات التطبيقية " إلى فتح ورشات بحث تجمع إليها مختلف التخصصات الإنسانية من لسانيات وسيميائيات وتاريخ وانثروبولوجيا وفيلولوجيا ومقارنة الأديان وما إلى ذلك مما أنتجه الفكر الغربي المعاصر ،يشرح ذلك بقوله " وهكذا نطبق التحليل الألسني و التحليل السيميائي ، والتحليل الدلالي ، والتحليل التاريخي، والتحليل الاجتماعي أو السوسيولوجي ، والتحليل الأنتربولوجي. والتحليل الفلسفي ، وعلى هذا النحو نحرر المجال أو نفسح المجال لولادة فكر تأويلي جديد للظاهرة الدينية ولكن من دون أن نعزلها أبدا عن الظواهر الأخرى المشكلة للواقع الاجتماعي التاريخي الكلي ." [4]

ولذلك ينزع أركون إلى الفكر التنظيري أكثر من نزوعه إلى المجال التطبيقي ، لكون المشروع متعددا وذا اتجاهات مختلفة يقول علي حرب وهو يصف منهج أركون :" يقف موقف الداعية إلى فتح الورشات الجديدة للبحث ، أو إلى تقديم إمكانيات جديدة للتطور والتغير أو إلى تجديد الفكر الإسلامي من الأساس . إنه لايمل من القول بأن هدفه هو شق الطريق و اقتراح برامج العمل "[5] إلا أنه يمكن أن نلاحظ في مسار أركون التفكيكي أنه لا يمارس نقده على الهامش بقدر ما يتجاسر على النص ذاته ذلك لافتقاده إلى تحيين المناهج لتلائم النص خاصة إذا علمنا أن أركون يؤسس معارفه على " الابستيمولوجيا "وهي جملة الأنظمة الضمنية الفكرية المنتجة للمعرفة ،إلا أنه لا يحترم خصوصية النص العربي الذي ينتمي إلى


المنارة للاستشارات

ابستيمولوجيا مختلفة عن تلك التي أنتجت المعرفة الغربية ،بل نراه يطبق مناهجها بحرفية ويسترشد بإجراءاتها التطبيقية للوقوف على نتائج مستخلصة قبليا في ذهنه لكونه منقادا بالمعرفة الاستشراقية الكلاسيكية وصرامتها في إتباع المنهج الفيلولوجي كما لقنه اياه "ريجيس بلاشير" من الباحثين الذين يحتفون كثيرا بالتنظير لمناهجهم ، وهو ما أدى إلى نوع من الازدواج في مستوى الموضوع أي أن المنهج أصبح موضوعا ثانيا إلى جانب كونه أداة و هذا يعني أن خطاب نقد العقل الإسلامي يشقه خطاب آخر لا يقل عنه قيمة بل لا يكاد ينفصل عنه هو الخطاب المنهجي ." [6] وقد سئل أركون عن كثرة الاحتفاء بالمنهج في دراساته الإسلامية ولم يجد من تبرير لذلك إلا التأكيد على أن الجانب التنظيري للفكر العربي المعاصر يجب أن يحظى بالاهتمام الأكبر من قبل العلماء لكون أن الخلل الأعظم واقع في الجانب المنهجي الذي عرف انحرافا معرفيا خطيرا في أواخر القرن السادس الهجري ترتب عنه التقهقر الذي ساد مختلف المناحي الفكرية والثقافية .

**2- الأنسنة عند محمد أركون :**

إن فكرة " المقدس " كما يقول أركون غيبت فكرة " الإنسان" وهو ما أضحى ينزع إليه أركون في ضرورة أن يعتلي الإنسان قيادة نفسه ولا يترك ذلك لأي معرفة دوغمائية سابقة أن تقوده ،كما كان شأن المذهب الأرثوذكسي الذي ألغى سلطة أي كان إلا سلطة " الكنيسة "التي احتكرت النص وفهم النص ،وهو ما بات يعرف في حقل الاسلاميات التطبيقية بـ "الأنسة " ويمحور أركون المسألة


المنارة للاستشارات

الدينية بين الإنسان والنص ، أيهما أسبق من الآخر : هل الإنسان أسبق من النص أم النص أسبق من الإنسان ، وهو ما يمكن أن نؤسسه على مسألة فلسفية تتعلق بجدلية النص والعقل ، يقول أركون مبسطا مفهوم الأنسنة مشيرا :" إلى تلك الأبعاد الغائبة بعد ازدهارها في عهد الأدب و الأدباء ثم لكي أدعو بالحاح إلى ضرورة إحياء الموقف الفلسفي في الفكر العربي خاصة والفكر الإسلامي عامة و كنت أعتقد و لا أزال بأنه لا سبيل إلى الاعتناء بمصير الإنسان اعتناء شاملا ، نقديا ، منيرا ، بدون التساؤل الفلسفي عن آفاق المعنى التي يقترحها العقل ويدافع عنها ." [7]ذلك لأن مسألة " المعنى "نشكل أساس التدافع الفكري الذي تتصارع من خلاله مختلف الأنظمة العقائدية، والتي تدعي احتكاره أو أحقيتها به ،لكونها تملك مصادره ،أو أنه المعنى الأعلى الذي لا يمكن أن يعتريه خطأ أو يُطعن في مقصديته ،وتخفي مع هذا الادعاء أن مناهج فهم المعنى هي مناهج بشرية تتحكم في تصربفها شروط موضوعية تعود إلى طبيعة المعرفة السائدة وإلى البعد التاريخاني لتلك العدة اللغوية وأساليبها في التدليل على المعنى . يقول أركون :" "إن مفهوم المعنى يطرح مشكلة بالفعل . فالتنافس عليه عام و شامل. كل الناس يريدون المعنى ويدعونه . وكل الفئات الاجتماعية الباحثة عن هويتها تدعيه . وكذلك كل المذاهب الفكرية تتنافس من أجل اكتشاف المعنى الحقيقي وفرضه أقصد المعنى المشتق بشكل صحيح من المصدر التشريعي الأعلى وبالتالي المؤدي إلى المعنى الكلي والأخير." [8] وليمكن أركون لمفهوم " الأنسنة "فإنه يبحث في المقدس عن الجانب الذي له علاقة بالتصريف البشري للمعنى ،وذلك ليجد


المنارة للاستشارات

مشروعية علمية للمنهج الذي تبناه من أجل قراءة معاصرة وفاعلة للنص الديني بأدوات لغوية ومناهج تاريخية ، مسترشدا بعوامل ازدهار التفاعل مع النص في العصور النيرة من تاريخ الحضارة الإسلامية ولم يحصل ذلك إلا باحلال " العقل " المكانة التي يستحقها، إذ أضحى " الإنسان " لا ينفعل بالنص وإنما يتفاعل مع النص ليحله في بيئته ويقرأه بمنظور المعرفة السائدة في عصره يقول أركون في ذلك :" القرآن نفسه يلح على وجود كلام إلهي،أزلي، لانهائي محفوظ في أم الكتاب وعلى وجود وحي منـزل على الأرض بصفته الجزء المتجلي و المرئي، و الممكن التعبير عنه لغويا والممكن قراءته و هو جزء من كلام الله اللانهائي بصفته إحدى صفات الله)[9] ولكن هاجس أركون في البحث عن الناسوتي في اللاهوتي هو مسعى خطير ،لأن أساسيات العقيدة الإسلامية أن القرآن كلام الله تعالى ،ولا ينازعه في ذلك أحد ،نعم أساليب القرآن هي أساليب لغوية كانت سائدة في العصر وأنه لكي يحصل فهم للقرآن وجب العودة إلى تلك الأساليب مدارسة وتعلما ،ولكن النص القرآني مبدع في لغته لا عهد للناس – آنذاك – بمثل تلك الأساليب ، أعجز فطاحل العرب في فن القول والبلاغة ،بل وأخرس الشعراء حتى أن أحدهم توقف عن قرض الشعر مذ أن تناهت إلى أذنيه آيات القرآن الكريم،يقول علي حرب ناقدا : ﴿معنى ذلك أن أركون يوظف تفكيكاته ضد المنطق اللاهوتي القرآني، ولا أقول ضد القرآن بالتحديد، ذلك أن النص، أي نص، هو في النهاية متعدد الخطوط والمساحات والطبقات. وهذا ينطبق


المنارة للاستشارات

على النص القرآني بامتياز. ففيه المتعالي والتاريخي، واللاهوت والناسوت، والقدسي والدنيوي.من هنا فإن كلام أركون على الحجب الذي يمارسه النص الثاني على النص الأول، هو كلام مخادع مراوغ. ذلك أن هاجس أركون الأصلي هو تفكيك النص القرآني لتعرية آلياته في الحجب والتحوير والتحويل...هاجسه هو »خرق الممنوعات وانتهاك المحرمات« التي سادت فيما مضى وتسود اليوم، التي »أقصت كل الأسئلة التي كانت قد طرحت في المرحلة الأولية والبدائية للإسلام، ثم سُكّرت وأغلق عليها« [10]فالادعاء بأن النص الثاني- نص التفسير - قد جنى على النص الأول –نص القرآن – فيه كثير من التجني على فكر أسلافنا الذين تعاملوا مع النص القرآني بحسب متطلبات عصرهم والأدوات المتاحة بينهم حتى أن نصوصهم التفسيرية تملأ الآن فراعا رهيبا لعدم تمكن علماء اليوم من تجاوز تلك النصوص التي توصف بموسوعية المعرفة فيها .

إن محمد أركون المفكر الديني المعاصر ، في اعتقادنا ، قد ضللته المناهج الغربية التي وإن كان بعضها يوصف بالموضوعية في مناهجه ومقولاته كاللسانيات مثلا ، فإن الأغلبية من تلك المناهج لها مرجعيتها الفلسفية والفكرية ولا يمكن بحال من الأحوال تطبيق مفاهيمها في فهم النص القرآني كالمنهج التاريخي والمنهج السوسيولوجي والمنهج الأنثروبولوجي وغيرها من تلك المناهج التي دافع عنها محمد أركون وعن نجاعتها في تفكيك بنية النص القرآني ،وقد تسلح محمد أركون بعدة تنظيرية هائلة مع اطلاع على موروثنا المعرفي في التفسير والبلاغة والنحو والفلسفة والتاريخ،وهو


المنارة للاستشارات

أمر يدعو إلى ضرورة الحيطة في الأخذ بكل تنظيراته في حقل ما سماه بالاسلاميات التطبيقية يقول علي حرب واقفا على نوايا محمد أركون في تبشيره بالمنهج التفكيكي :" لا أريد أن أضع أركون في خانة الماديين والواقعيين والعلمويين الذين يشككون بمصداقية الخطاب النبوي أو ينقضون ظاهرة الوحي الإلهي أمثال صادق جلال العظم ونصر حامد أبو زيد. لا ريب أن أركون هو دهري دنيوي في مفهومه للوحي وفي منهج تحليله للخطاب النبوي. ولا حاجة إلى تكرار القول في هذا الخصوص. ومع ذلك فإن أركون يختلف تمام الاختلاف عن مواقف الذين يتعاملون مع النص القرآني بطريقة تبسيطية أحادية تقوم على نفيه واستبعاده. فإن هؤلاء يرشقون القلعة القرآنية الحصينة بحجارة ترتد عليهم. أما أركون فإنه يحاول، متسلحاً بمنهجيته ذات القدرة الهائلة على الحفر والسَّبر، أن يلج إلى القلعة لكي يقوم بتلغيمها أو تفكيكها من الداخل. فهو يملك مفاتيح معرفية تتيح له أن يعرف خارطة القلعة وأن يكشف عن مخابئها السرية. ولهذا فإن محاولته هي الأكثر خطورة وأهمية، أعني بذلك أنها الأكثر فاعلية ومردودية على الصعيد المعرفي،هذا ما يرمي إليه النقد التفكيكي." [11]

إن الاسلامولوجيا عند أركون لا تريد العودة إلى ممارسات الفكر العربي الإسلامي في التاريخ ،ولا أن تسترشد به بقدر ما تريد إزاحته وتجاوزه ،لأنه يعتقد أن الرجوع إلى التراث الفكري العربي قد كان له الأثر السيئ على مرودية الفكر العربي المعاصر في محاولته بعث نهضة فكرية جديدة تطرح مساءلة أخرى للنص القرآني


المنارة للاستشارات

والنصوص اللاحقة به تفسيرا وتأويلا ونصوص مصادر التشريع الأخرى .وهو ما تجلى في الممارسات التي تطبع الشأن العام العربي والإسلامي والتي ترجع أساسا إلى خلل في التصور العائد إلى فاعلية " النص " في حياة الناس .

**الهوامش :**

1- أنظر : محمد أركون، **"إختراق، إزاحة، تجاوز"**، مجلة **"أرابيكا"** (Arabica)، مجلة الدراسات العربية الإسلامية، ملف **"كلود كاهين : قراءات نقدية"**، عدد **43**، **1996**، ص.**28-70**.

2- مصطفى كيحل :الأنسنة والتأويل في فكر محمد لأركون – المقدمة – رسالة دكتوراه جامعة منتوري قسنطينة كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية – قسم الفلسفة **2007-2008**.

3- محمد أركون :الفكر الإسلامي:قراءة علمية.ص**274** - ترجمة هاشم صالح.مركز الإنماء القومي.بيروت.ط**2**- **1996**.

4- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص**70** ترجمة هاشم صالح – دار الطليعة – بيروت ط**1** -**2001** .

5- على حرب :الممنوع والممتنع ،، نقد الذات المفكرة ، ط **02** ،**2000**- بيروت ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي

6- محمد الفجاري : نقد العقل الاسلامي عند محمد أركون ص **118**– دار الطليعة – ط**1** – **2005** بيروت .

7- محمد أركون :معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية ص**13** ترجمة هاشم صالح – دار الساقي – بيروت – ط**1**- **2001**

8-محمد أركون :الإسلام ، أوروبا ، الغرب ، رهانات ا□ع□ و إرادات ا□يمنة – ص **24** ترجمة هاشم صالح – دار الساقي – بيروت – ط**2**- **2001**

9- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص 22 .



المنارة للاستشارات

10- علي حرب،النقد القرآني .. نقد لأفكار أركون، قراءة، ص31 موقع: info@balagh.com

11- المرجع السابق ص 35

**ملحق " مؤلفات محمد أركون :**

الفكر العربي. ترجمة عادل العوا. دار عويدات.بيروت.**1979**

- الاسلام بين الأمس والغد. ترجمة علي المقلد. دار الفارابي. بيروت.**1985**
- تاريخية الفكر العربي الاسلامي. ترجمة هاشم صالح.مركز الانماء القومي.بيروت. **1986**
- الفكر الاسلامي:قراءة علمية. ترجمة هاشم صالح.مركز الانماء القومي.بيروت. **1987**
- الاسلام:الأخلاق والسياسة. ترجمة هاشم صالح. منشورات اليونيسكو بالتعاون مع مركز الانماء القومي.بيروت.**1988**
- الاسلام: نقد واجتهاد. ترجمة هاشم صالح.دار الساقي. بيروت. **1990**
- من الاجتهاد الى نقد العقل الاسلامي. ترجمة هاشم صالح. دار الساقي.بيروت. **1991**
- من فيصل التفرقة الى فصل المقال.أين هو الفكر الاسلامي المعاصر؟ ترجمة هاشم صالح. دار الساقي.بيروت. **1993**
- الاسلام،أوروبا،الغرب. رهانات المعنى وارادات الهيمنة. ترجمة هاشم صالح.دار الساقي.بيروت. **1995**
- نزعة الأنسنة في الفكر العربي.جيل مسكويه والتوحيدي. ترجمة هاشم صالح. بيروت. **1996**
- العلمنة والدين:الاسلام،المسيحية، الغرب. ترجمة هاشم صالح. منشورات دار الساقي.بيروت.**1996**
- نافذة على الاسلام.ترجمة صياح الجهيم، دار عطية للنشر.**1996**
- قضايا في نقد العقل الديني.كيف نفهم الاسلام اليوم؟ ترجمة هاشم صالح. دار الطليعة.بيروت. **1998**



المنارة للاستشارات

- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل. نحو تاريخ آخر للفكر الاسلامي. ترجمة هاشم صالح. دار الساقي.بيروت.**1999**
- معارك من أجل الأنسنة في السياقات الاسلامية. ترجمة هاشم صالح. دار الساقي. بيروت. **2001**
- القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني.ترجمة هاشم صالح. دار الطليعة.بيروت.**2001**
- من منهاتن الى بغداد. ما وراء الخير والشر. دار الفارابي.بيروت.**2008**
- نحو نقد العقل الاسلامي.ترجمة هاشم صالح.دار الطليعة.بيروت.**2009**
- الهوامل والشوامل حول الاسلام المعاصر.ترجمة هاشم صالح.دار الطليعة. بيروت.**2010**
- الأنسنة والاسلام.ترجمة محمود العزب. دار الطليعة.بيروت.**2010**
- نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية. ترجمة هاشم صالح. دار الساقي. بيروت. **2010**
- تحرير الوعي الاسلامي. نحو الخروج من السياجات الدوغمائية المغلقة. ترجمة هاشم صالح. دار الطليعة. بيروت.




المنارة للاستشارات